حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الصُّوَرةُ البَيَانيَّةُ لقيام المرابين في القرآن الكريم
دراسة موضوعيَّة

جمال عبد الرحيم صالح أبو رمان*

أستاذ مساعد -التفسير وعلوم القرآن الكريم– جامعة مؤتة– كلية الشريعة– قسم أصول الدين
AbuRomman@Mutah.edu.jo

تاريخ الاستلام: 2022/07/31
تاريخ قبول البحث: 2022/07/31
تاريخ النشر: 2023/12/30

المستخلص:

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تجلية الصّورة البيانيّة التي عرضها الله تعالى للمرابين عند قيامهم، مبيناً المراد بهذا القيام، ويهدف كذلك إلى بيان التميّز الذي تميّزت به هيئة المرابين عند قيامهم من أجداثهم يوم القيامة، وكيف اختلفت عن سائر أهل المحشر، مبيّناً الأسباب التي لأجلها خصّ الله ــ تعالى ــ المرابين بتلك الصّورة.

منهجية البحث:

اتبع الباحث في هذا البحث منهجية الدراسة الموضوعية، دون التحليلية، مركّزاً الجهد على ما يتعلق بعنوان البحث، ولم يهدف إلى تفسير جميع جوانب الآيات المذكورة تفسيراً تحليلياً؛ حتى لا يخرج البحث عن موضوعه.

النتائج:

من نتائج البحث أنّ القيام المذكور في قوله تعالى:(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) (البقرة/275) قيام عام، فليس هناك دليل يُلزم بتخصيصه بالقيام يوم القيامة، فهو عامّ يشمل القيام في الدنيا والآخرة، مما يعني اجتماع نوعين من الرُّعاش على المرابي، رُعاش نفسي في الدنيا، ورُعاش وبدنيٌّ في الآخرة، ومن نتائج البحث أنّ الصورة البيانية التي عرضتها الآية صورة خاصة بالمرابين، لا تتكرر لغيرهم؛ لتكون علامة مميزة لهم عن سائر أهل المحشر، فقد شبّهت الآية الكريمة آكل الربا عند قيامه من جَدَثه يوم القيامة بقيام المصروع، يملأ الخوف جوارحه وأعضاء بدنه، فلا يكاد يثبت على قدميه؛ لشدة تخبّطه في ذلك اليوم العظيم؛ لاستحلاله ما حرّم الله تعالى.

التوصيات:

يوصي الباحث بدراسة آيات القرآن الكريم دراسة بيانية، واستقراء أساليبه البلاغية في تحذير الناس من الوقوع فيما يغضب الله تعالى، والنظر في الصور البيانية المتقابلة بين الآيات ذات المواضيع المشتركة.

الكلمات الدالّة: الصُّورة البيانيّة، المرابون، التخبّط، المسّ.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

تمهيد:

إنّ فهم اللغة العربيّة يُعد الأساس في فهم القرآن الكريم، فهي الوعاء الذي جعله الله تعالى حاملاً لكتابه العظيم، ومن المعلوم أنّ الله ــ عزّ وجلّ ــ قد هيّأ هذه اللغة لهذا الأمر الجَلل، وقد أوْدَعَ الله تعالى فيها من أسرار التعبير، ومعالم الجمال ما أوْدع، وفيها من كنوز الفصاحة والبلاغة ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ومَن رزقه حظاً من علْم اللغة، وإنّ من تلك الكنوز علم البيان، الذي نشأت عنه الصُّورة البيانيّة، والذي هو أحد علوم البلاغة، وقد تضمنت هذه الدراسة مطلبين للتعريف بالعلوم الأساسية المتعلقة بهذا البحث، يتبعه بيان أهمية البحث ومشكلته والدراسات السابقة ومنهجية البحث.

أهميَّة البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من كونه يعرض لجانب من جوانب القرآن الكريم، جاء فيه التنفير من عمل هو من أشد الأعمال المحرّمة في الإسلام، وهو الرّبا، فقد أفرد الله ــ عز وجل ــ المرابين ــ على وجه الخصوص ــ بهيئة خاصّة بهم عند قيامهم من أجداثهم يوم القيامة، تميّزت عن سائر أهل المحشر، فجاء هذا البحث يبين معالم تلك الصورة، ويرسم جوانبها من زاوية بيانية، ثم عرض الباحث التقابل في الصور البيانية بين الآية المتعلقة بالموضوع وبين الآية السابقة، التي تتحدّث عن الإنفاق في سبيل الله تعالى.

مشكلة البحث:

1ــ ما المراد بالقيام الوارد في قوله تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) (البقرة/ 275).

2ــ ما الصُّورة البيانيَّة التي عرضتها الآية الكريمة السَّابقة؟

3ــ ما المقصود بالتخبّط المذكور في الآية وما أثره في رسم الصُّورة البيانيَّة للمرابي عند قيامه؟

4ــ ما السَّبب الذي لأجله خصّ الله ــ تعالى ــ المرابين بكيفيّة خاصّة عند قيامهم يوم القيامة للحساب؟

الدِّراسات السَّابقة:

بعد البحث والتحرّي من خلال المكتبات الورقية والإلكترونية ومحركات البحث العالمية لم أجد من خصّ هذا الموضوع بدراسة بيانية، تكون دراسة علمية محكّمة، وإنما الذي وجدته أشبه ما يكون مقالاً، وهو بعنوان: من توجيهات القرآن الكريم:((الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) (البقرة/ 275) .وهو للشيخ عبد اللطيف محمد بدر، مكون من أربع صفحات، ولم يكن بحثاً علميّاً محكّماً، بنصّ دار المنظومة الإلكترونيّة، وقد خلا من أكثر المصادر والمراجع التفسيريّة واللغوية، سِوى من صحيحيّ البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد ومستدرك الحاكم وفي ظلال القرآن لسيد قطب ــ رحمهم الله جميعاً ــ، وقد أفدت من بعضه في هذا البحث.

منهجيَّة البحث:

اتبع الباحث في هذه الدراسة منهجية الدراسة الموضوعية في التفسير دون الدراسة التحليلية، مع التركيز على الجوانب البيانية، ولم تكن منهجية الباحث منهجية تفسيرية تحليلية؛ من أجل التركيز على موضوع الدراسة. واتبع الباحث كذلك المنهج الاستقرائي باستقراء الآيات ذات الصلة بالموضوع، والمنهج الاستنباطيّ.

هيكلية الدراسة:

وقد جاءت هذه الدراسة مقسّمة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وقد تضمّنت تقديماً موجزاً لهذه الدراسة.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الثاني: الرِّبا، تعريفه وأنواعه.

المبحث الثالث: الصورة البيانيّة لقيام المرابين.

الخاتمة: وفيها أهمّ النتائج.

المقدّمـــة:

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد، فإنّ ممّا لا شك فيه أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى، أنزله هداية للناس، وبصّرهم في أمور دينهم ودنياهم، وأخبرهم فيه عن حقائق يقينيّة، والتي منها حقيقة الموت، وحقيقة البعث بعد الموت، وقد بيّن لنا ــ سبحانه ــ أحوال الناس عند خروجهم من أجداثهم أحياء على وجه الأرض، بيّن ذلك بتصويرٍ بيانيٍّ بديع، وقد ميّز الله تعالى المرابين عند خروجهم ــ من بين سائر الموتى ــ بصورة بديعة بليغة، صورة الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ، فحاول الباحث أنْ يتتبّع جوانب تلك الصورة عند المفسرين بوجه عامّ، وعند المفسّرين البيانيّين بوجه خاصّ؛ ليُظهر معالم تلك الصّورة البيانيّة الدقيقة، التي عرض من خلالها القرآن الكريم حال أولئك الواقعين فيما حرّم الله تعالى.

لم يكنِ الغرض من هذه الدراسة إثبات البعث بعد الموت، فهذا له موضعٌ آخر، إنما الغرض إظهار الصُّورِ البيانيَّة، التي بيّنها لنا القرآن الكريم، فيما يتعلق بحال المرابين عند خروجهم من أجداثهم يوم القيامة.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف العِلْم في اللغة والاصطلاح:

الفرع الأول: العلم في اللغة:

نقيض الجهل (ابن فارس، 1414ه).

الفرع الثاني: العِلْم في الاصطلاح:

العلم في الاصطلاح: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه، وقيل: هو مستغنٍ عن التعريف، وقيل: العلم: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات، وقيل: العلم، وصول النفس إلى معنى الشيء (الجرجاني، 1983م).

المطلب الثاني: تعريف البلاغة في اللغة والاصطلاح.

الفرع الأول: تعريف البلاغة في اللغة:

قال ابن فارس:(الباء واللام والغين أصلٌ واحدٌ، وهو الوصول إلى الشيء، تقول: بَلَغْتُ المكان، إذا وصلتَ إليه)(ابن فارس، 1414ه)، فالبلاغة من حيث المعنى اللغوي لها علاقة بمعنى الوصول إلى شيء ما، سواء كان مكاناً أو هدفاً معنوياً.

الفرع الثاني: تعريف(علم البلاغة) في الاصطلاح:

هو العلم الذي يبحث في مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته (القزويني، 1988م).

المطلب الثالث: تعريف عِلْم البيان والصورة البيانيّة:

سبق تعريف كلمة(عِلْم) في المطلب السابق، ويبقى تعريف كلمة(البيان)، وتعريف مصطلح(علم البيان)، وأبدأ بتعريف كلمة(البيان):

الفرع الأول: تعريف البيان في اللغة:

البيان في اللغة: الوضوح والانكشاف (ابن فارس، 1414ه)، والفصاحة واللَّسَن (ابن منظور، 1414هـ).

الفرع الثاني: تعريف البيان في الاصطلاح:

البيان في الاصطلاح: إظهار المتكلم المراد للسامع (الجرجاني، 1983م).

الفرع الثالث: تعريف(علْم البيان) في الاصطلاح:

يُعرّف (علم البيان) في الاصطلاح بأنه: عِلم يُعرَف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة (القزويني، 1988م).

الفرع الرابع: تعريف(الصورة البيانيّة):

تُعرّف(الصورة البيانيّة) بأنها: التَّعبير عن المعنى المقصود بطريق التَّشبيه، أو المجاز، أو الكناية، أو الاستعارة، أو تجسيد المعاني، (مختار، 2008م).

المبحث الثاني: الرِّبا، تعريفه وأنواعه:

المطلب الأول: تعريف الرِّبا لغةً واصطلاحًا:

الرِّبا في اللغة: الزيادة والنَّماء والعلوّ (ابن فارس، 1414ه)، وفي الاصطلاح: فضلٌ خالٍ عن عِوض، شُرط لأحد العاقِدَين (الجرجاني، 1983م). وفي تعريف آخر قريب منه: زيادةُ أحد البدلين المتجانسَين من غير أنْ يقابل هذه الزيادة عِوض (الجزيري، 2013م)، وعُرِّف أيضاً بأنه: أخْذُ مالٍ مخصوصٍ بغير مال بإزائه (النووي، دون تاريخ)، ويميل الباحث إلى التعريف الأوّل، وهو أنّ الرّبا: فضْلٌ خالٍ عن عِوض، شُرط لأحد العاقدَين؛ بسبب ذكْر كلمة(شُرط)، فالمرابي يشترط على المرابَى ردّ رأس المال مع الزيادة.

المطلب الثاني: أنواع الربا وحُكْمه والتحذير منه:

يأتي الربا على نوعين: ربا القروض وربا البيوع، أمّا ربا القروض فهو الزيادة المشروطة على القرض(الشحود،2007م)، وأمّا ربا البيوع فينقسم إلى نوعين: ربا النسيئة، وربا الفضل، وربا النسيئة هو: الزيادةُ في أحد العِوَضين مقابل تأخير الدفع (مجموعة من المؤلفين، الفقه الميسّر في ضوء الكتاب والسنة، 1424هـ)، وهو الذي كان مشهورًا في الجاهلية، فقد كان الواحد منهم يدفع ماله لغيره إلى أجل، على أنْ يأخذ منه كلَّ شهر قدرًا معينًا، ورأسُ المال باقٍ على حاله، فإذا حَلَّ طالَبَه برأس ماله، فإنْ تعذّر عليه الأداء زاده في الحق والأجل (عزّام، 1997م)، وأمّا ربا الفضل: فهو زيادة أحد العِوضين على الآخر عند تبادل شيء مماثل يداً بيد (المرجع السابق).

ذلك ما يتعلق بأنواع الرّبا، أمّا ما يتعلق بالتحذير منه، فقد جاء في القرآن الكريم، والسُّنة النبويّة، قال تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ((البقرة/275ــ279)، يتضح لنا من خلال هذه الآيات الكريمة أنّ الله تعالى توعّد المرابين بعذاب شديد يشمل الدنيا والآخرة على السواء، فقوله تعالى: (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يتعلق بالآخرة، ، وقوله تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا)،يتعلق بالدنيا، وقوله تعالى:(لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) يتعلق بالدنيا والآخرة، وهو ما سيبيّنه الباحث في المبحث الثاني ــ إن شاء الله تعالى ــ، وما هذا التحذير القرآنيّ الموجّه للمرابين إلا دلالة على الأضرار الكثيرة للرّبا، سواء على المرابين بشكل خاص، أم على الناس بشكل عام، ولا يريد الباحث التوسّع في بيان مخاطر الرِّبا، إنما يكتفي ببعضها، فمن مخاطره على المرابين أنه يُسبّب قسوة قلوبهم، وتحجّرها، قال تعالى:(

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)(المطففين/14)، فالمرابي يصبح جشعًا؛ بزيادة حبه للمال، أنانيًّا لا يهُمّه إلا نفسه، لا يشعر بآلام المحتاجين، والرّبا يؤدي إلى تكدّس المال بأيدي فئة محدودة من أفراد المجتمع، مما يسبّب ظهور طبقتين، طبقة الأغنياء جدًّا وطبقة الفقراء جدًّا، أمّا الطبقة المتوسطة فتكاد تكون محدودة جدًّا، ويتسبب الرِّبا كذلك في إحداث الأزمات الاقتصادية، وغلاء الأسعار،...الخ، (زيدان، دون تاريخ)، (القحطاني، 1405هـ)، والذين يتعاملون بالرّبا تكثر بينهم العداوات، وتمتلئ قلوبهم بالأحقاد، وتشتدّ بينهم الخصومات والمنازعات، فالمدين يريد أن يتهرّب من السّداد، ويتحايل على ذلك بكلّ الحيل والوسائل، والدائن حريصٌ أشدّ الحرص على ابتزازه والاستيلاء على ماله، والمحاكم تعجّ بالشاكين والمشكويّين وشهداء الزور، ممّا يكون أثره ومردوده سيّئاً على المجتمع بعامّة، وعلى المتخاصمِين بخاصّة، والذين يتعاملون بالرّبا قد غاض معين الرّحمة من قلوبهم، فطوّعت لهم أنفسهم أنْ يستغلوا حاجة المحتاج ليُقرضوه، ولكن بزيادة قد تصل إلى أضعاف مضاعفة، وقد يعجز عن أدائها، فيستبيح المرابي في النهاية ماله، ويجرّده من كل ما يملك، وقد يجرّده من منزله الذي يُؤويه فيصير بدون مأوى ــ كما وقع ذلك لكثيرين، مصداقاً لقول الله تعالى: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا)، (بدر،1983م)، ولتلك النتائج الخطيرة وغيرها استحق من يَقبل التعامل بالرّبا الحرب من الله تعالى، واللعن، فعن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ: " لعن الله آكل الرّبا وموكله وشاهديه وكاتبه"(أبو داود، دون تاريخ، الترمذي، 1975م).

إنّ تحريم الرّبا لم يردْ فقط في الإسلام، بل جاء تحريمه كذلك في اليهوديّة والنّصرانيّة، يقول الشيخ محمد أبو زهرة ــ رحمه الله ــ: (ولا تزال بقيّة من هذا التحريم في التوراة التي بأيدينا، وإنْ كانوا قد نسُوا حظاً مما ذُكّروا به، ففي سِفر التثنية بالإصحاح الثالث والعشرين:(ولا تُقرض أخاك الإسرائيلي رباً، ربا فضةٍ أو ربا طعام، أو ربا شيء ممّا يُقرَض بربا، فاليهود يَقصُرون تحريم الرّبا بالنسبة للإسرائيلي، ويصرّح بذلك هذا الإصحاح بقوله:(للأجنبيّ تقرضُ بربا، ولكن لأخيك لا تُقرضْ برباً؛ لكي يُباركك الربُّ إلهك في كل ما تمتدّ إليه يدك) (أبو زهرة،1986م)، إنّ الإسلام ينظر إلى هذه النصوص على أنها تحريف للمقصد الأصلي من تحريم الرّبا، فإنّ الرّبا حرام على أيّ إنسان؛ لأنه ظلم، والظلم لا يحل في شخص ويحرم في غيره؛ لأنّ الله ــ سبحانه وتعالى ــ يقول ــ على لسان رسوله محمد ــ ﷺ ــ في الحديث القدُسيّ:(يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلتُه بينكم محرّماً فلا تظالموا)(مسلم،1929م)، وإن كان ثمة من فرْق بين اليهوديّة ــ حين تستمسك بهذا النصّ وبين الإسلام، فهو أنّ الإسلام يأخذ في الرّبا وغيره بالأخوّة الإنسانية، التي لا تفرّق بين جنس ولا لون ولا عِرْق، بل الكل خلق الله تعالى. واليهود ينظرون إلى غيرهم على أنهم ليسوا من طينتهم، بل مِن خلقٍ غير خلقهم، ويقولون: (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) (المائدة/١٨)، ولأجل هذا المعنى الضيّق الذي اشتمل عليه نصّ التوراة التي بأيدينا اندفع اليهود في أكل الربا من غيرهم، وتحريمه فيما بينهم، ولم يمنع ذلك القرآن الكريم من اعتبارهم أكلة الرّبا، فقد قال تعالى ــ في النعي عليهم:(فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)(النساء/١٦٠ –

١٦١). والنصرانيّة الحاضرة حرّمت الرّبا تحريماً قاطعاً مانعاً، وحرّمت الرّبا لا عند النصارى فقط، بل بالنسبة للنصارى مع غيرهم، وأجمعت على ذلك الكنائس، لا فرق بين كنيسة وأخرى، وقد حاول الربويُّون بتأثير الاقتصاد اليهوديّ استباحة بعض الفائدة، فلم تُسِغْ ذلك الكنيسة لهم، ولقد ادعَوْا أنّ هذه الفائدة هي أجرة التنظيم والإدارة، فقيل: إنّ بعض رجال الدِّين من المسيحيّين أباح الفائدة في هذه الدائرة دون سواها، أي على أنها أجرة إدارة لا فائدة دَين، وقد اتخذ الكثير من هذه الفتوى مسوّغاً، فانطلقوا ــ يبيحون الرّبا ــ ، ولمّا جاءت حركة الإصلاح في المسيحية لم يكتف لوثر زعيمها بتحريم الفائدة، قَلَّت أو كَثُرت، بل حرّم كل العقود التجاريّة التي تؤدي إلى الرّبا، حتى بثمن مؤجل إذا كان أكثر من الثمن العاجل، وقد قرّر أنّ ذلك نوع من الرّبا يُروَّج باسم التجارة،(أبو زهرة،1986م).

هذا فيما يتعلق بالتحذير من الرّبا مما جاء في القرآن الكريم والسّنة النبويّة، وتحريمه في اليهوديّة والنّصرانيّة، أمّا ما يتعلق بالصّورة البيانيّة لحركة المرابين وقيامهم كما صوّرها القرآن الكريم، فهو ما سيبيّنه الباحث في المبحث الآتي إنْ شاء الله تعالى.

المبحث الثالث: الصّورة البيانيّة لقيام المرابين:

المطلب الأول: الآيات ذات الصلة:

قال تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (البقرة: ٢٧٥ – ٢٧٦). وعند استقراء آيات القرآن الكريم يتبيّن لنا أنّ الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين هي الآية الوحيدة التي بيّنت لنا صورة قيام المرابين، وليس هناك آية أخرى غيرها.

المطلب الثاني: مناسبة الآيات للآيات السابقة وترتيب نزولها:

جاءت آيات الرّبا عقب آيات النّفقة، وقد بدأ الحديث عن النّفقة من قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(البقرة/٢٦١)، إلى قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة/274)، فالحديثُ عن النفقة والرّبا كلُّه حديثٌ عن القضايا المالية، وبهذا يظهر أنّ الحديث عن الرّبا بعد النفقة حديث متصل بموضوعٍ واحدٍ أيّما اتصال، وهو موضوع المال. هذا جانب وهناك جانب آخر وهو أنّ هذا الأسلوب الحكيم مألوف في القرآن الكريم، فهو إذا حدّثنا عن طريق الهُدى وفعْل الخير يحدّثنا بعده عن طريق الضلال وفعل الشّر، ليُرغّبنا في الأوّل ويُحذّرنا من الآخَر، فإنّ الله تعالى رغّبنا في النفقة في سبيله، قال تعالى:(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة/274)، فبعد أنْ ذكّرنا الله تعالى بما أعدّه للمنفقين أموالهم في سبيل الله، من الأجر الثابت عند الله، الثابت في تحقق الحصول عليه، والمضاعَف بفضل الله ومَنّه وكرمه، وأنّ مَن بَذل ذلك في سبيل الله فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، بعد ذلك جاء الحديث عن الرّبا، للتحذير منه،

وبيان سوء عاقبته في الدنيا والآخرة. قال البقاعيّ ــ رحمه الله ــ:(ولمّا كان ــ سبحانه وتعالى ــ قد ذكر النفقة ممّا أفاض عليهم من الرّزق من أول السورة إلى هنا في غير آية، ورغّب فيها بأنواع من الترغيب في فنون من الأساليب، وكان الرّزق يشمل الحلال والحرام، وكان ممّا يسترزقون به قبل الإسلام الرّبا، وهو أخذٌ مجاناً، وهو في الصّورة زيادة، وفي الحقيقة نقص وعيب، ضدُّ ما تقدم الحث عليه من الإعطاء مجاناً، وهو في الظاهر نقص وفي الباطن زيادة وخير؛ نهاهم عن تعاطيه ونفّرهم منه، وبيّن لهم حُكْمه، وأنه خبيث لا يصلح لأكل ولا صدقة، وجَعَل ذلك في أسلوب الجواب لمن قال: هل يكون النفقة المحبوبة المحثوث عليها من كل مال؟ فأجاب بقوله: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا) الآية، وقال الحرّالي: ولمّا كان حال المنفق لا سيما المبتغي وجه الله ــ سبحانه وتعالى ــ أفضل الأحوال، وهو الحال الذي دُعوا إليه؛ نَظَمَ به أدنى الأحوال، وهو الذي يُتَوسل به إلى الأموال بالرّبا، فأفضل الناس المنفق، وشرُّ الناس المُرْبي؛ فنَظَم به خطابَ الرّبا)(البقاعي،2006م).

من خلال ما سبق نلاحظ أنّ الآيات الكريمة قد جمعت بين أسلوبين من أساليب التربية الحكيمة، وهما أسلوب الترغيب وأسلوب الترهيب، الترغيب في النفقة والترهيب من الرّبا.

ذلك فيما يتعلق بمناسبة الآيات، أمّا ما يتعلق بترتيب نزولها، فقد ذكر المحققون من العلماء أنّ آيات الربا هي آخر ما نزل من القرآن الكريم ــ على الرّاجح ــ ، وهو ما يميل إليه الباحث، ولا يتّسع المقام للتفصيل بذكْر أقوال العلماء في آخر ما نزل، ومن الأدلة على كون آيات الرّبا آخر القرآن الكريم نزولاً، ما أخرجه البخاري ــ رحمه الله ــ بسنده عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أنه قال:(آخر آية نزلت على النبي ــ ﷺ ــ آية الرِّبا)(البخاري،1993م)، والمقصود بآية الرّبا الآيات السَّبْع المتعلقة بالرّبا، وتبدأ بقوله تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا (الآية(البقرة/275) إلى قوله تعالى:(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) (البقرة/281)، وقد ذكر العلماء أنّ النبيّ ــ ﷺ ــ لم يمكُث بعدها أكثر من تسع ليالٍ حتى انتقل إلى الرّفيق الأعلى، (الزّرقاني،1988م).

ويرى الباحث أنّ في ترتيب آيات الرّبا بجعلها آخر القرآن الكريم نزولاً دلالة عظيمة على شدة تحريم الرّبا؛ وذلك لكثرة ما في الرّبا من أضرار بالغة على الأفراد والمجتمعات، وهو ما سيذكره الباحث في المطلب الآتي ــ إنْ شاء الله تعالى ــ.

المطلب الثالث: الصّورة البيانيّة لكيفية قيام المرابين وأسبابها:

حرّم الله تعالى الرّبا، ونزّل المرابين منزلة المحاربين لله ورسوله ــ ﷺ ــ، قال تعالى:} فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ} (البقرة/279)، وبسبب الخطورة البالغة في الرّبا على الأفراد والمجتمعات، ومن أجل زيادة التحذير منه، فقد شبّه لنا ــ سبحانه ــ كيفيَّة قيام المرابين بقيام الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ، قال تعالى:{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ

وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(البقرة/275)، هذه الآية الكريمة من سورة البقرة، ومعلوم أنّ سورة البقرة مدنيّة، فقد نزلت بعد هجرة المصطفى ــ ﷺ ــ إلى المدينة المنوّرة.

بدأ ــ سبحانه وتعالى ــ الآية بقوله:{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا} والأكل معناه على وجه الحقيقة ابتلاع الطعام، ثمّ صار يطلق على الانتفاع بالشيء والحرص في أخذه (ابن عاشور، 1984م)، فمعنى{يأكلون الرّبا}: أي يتصرّفون فيه بشتى أنواع التصرّفات (المراغي، 1946م)، والفاعل في كلمة{يأكلون} ليس محصورًا بالمرابين وحدهم، فقد صحّ عن جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ أنه قال:(لعن رسول الله ــﷺــ آكل الرّبا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: (هم سواء)، (مسلم، 1929م)، و(الرّبا) ــ كما قال الإمام الطبريّ رحمه الله ــ الزيادة على الشيء، يقال: أربى فلان على فلان، إذا زاد على ما كان عليه فعَظُم، فهو يربو رَبواً، وسُمّيَت (الرابية) من الأرض (رابية)؛ لزيادتها في العظم والإشراف على ما استوى من الأرض ممّا حولها، فالرّابية هي المكان المرتفع من الأرض، وسُمّي (المرابي) مرابياً؛ لتضعيفه المال الذي كان له على غريمه حالاً، أو لتضعيفه المال الذي كان له على غريمه مقابل التمديد في الأجل، وهذه هي الأضعاف التي قال الله ــ تعالى ــ فيها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ((آل عمران: 130)، (الطبري،1997م)، (الخالدي،1997م).

وقد بيّن أكثر المفسّرين أنَّ القيام المذكور في قوله تعالى:(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) (البقرة/275)، يُقصَد به القيام من الأجداث يوم القيامة، قال الإمام الطبريّ:(الذين يُربون الرّبا ــ الذي وصفنا صِفَته ــ في الدنيا (لا يقومون) في الآخرة مِن قبورهم (إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ)، يعني بذلك: يتخبّله الشيطان في الدنيا، وهو الذي يخنقه فيصرعه، (من المسّ)، يعني: من الجنون). (الطبري،1997م)، ومعنى(يتخبّله) أي: يُفسد الشيطان عقله فيصير مجنونًا(ابن منظور، 1414هــ)، والمعنى: أنهم يقومون يوم القيامة مُخَبَّلين كالمصروعين، وذكر الإمام الطبريّ ــ بسنده عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أنه قال: يُقال ــ يوم القيامة لآكِل الرّبا: (خذ سلاحك للحرب)، وقرأ: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) قال: ذلك حين يبعث من قبره. وقد نَقل الإمام الطبري ــ رحمه الله ــ عن بعض أئمة التفسير من التابعين وتابعيهم أنّ المرابي يُبعث يوم القيامة مجنوناً يُخنق، وممن نَقل عنهم سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وبيّن قتادة الحكمة من ذلك وهو أنْ تكون تلك الصورة والهيئة علامة يُعرف بها أهل الرّبا يوم القيامة، بُعِثوا بهم خبل من الشيطان. (الطبري، 1997م)، وأورد ابن كثير نحو ذلك عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ،(ابن كثير، 1991م). تلك سيماهم يُعْرَفون بها عند أهل الموقف، بخلاف سائر الناس، فإنهم يوم يخرجون من الأجداث، يخرجون وهم يوفِضون، قال تعالى:}يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ{(المعارج/43) أي: يُسرعون،(والمعنى أنهم يُسرعون

الخروج من القبور إلى المحشر، كما يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا) (ابن جُزيّ)، إلا أكلة الرّبا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين؛ لأنهم أكلوا الرّبا فأرباه اللّه في بطونهم حتى أثقلهم، فلا يقدرون على الإيفاض، وكلمة(مِن) في قوله تعالى:(إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ) تفيد التعليل، أي: بسبب المسّ، (السامرّائي،2011م) وقد بيّن لنا ــ سبحانه وتعالى ــ سبب ذلك العقاب، فقال: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) (البقرة/275) (الزمخشري، 1403هـ). فاستحلالهم للرّبا هو الذي أوقعهم في سخط الله تعالى وغضبه، فاستحقوا عقابه وعذابه، قال تعالى:(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (طه/124)، وقال ــ سبحانه ــ (ومَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (37) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ) (الزخرف/ ٣٦ ــ 38).

هذا ولا بد من التذكير بأنّ ابن كثير ــ رحمه الله ــ قد بيّن ضعف الحديث الذي رواه الحافظ البيهقي ــ رحمه الله ــ بسنده عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ وهو يحدّث بحديث الإسراء، والذي فيه أنّ النّبيّ ــ ﷺ ــ قال:(ثمّ مضيت هنيهة، فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت، كلما نهض أحدهم خرّ، فيقول: اللهم لا تُقم الساعة. وهم على سابلة آل فرعون، قال: فتجيء السابلة فتطؤهم، قال: فسمعتهم يضجّون إلى الله، قال: قلتُ: يا جبريل، مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء مِن أمتك{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} (البقرة/ 275)، (البيهقي، 1988م، ص390) وسبب ضعفه أنّ في سنده أبو هارون العبدي، وهو مضعّف عند الأئمة، (ابن كثير، 1991م)، وقال عنه النسائي:(متروك الحديث)(النسائي، 1985م، ص192)، وبين ابن كثير أيضاً ضعف الحديث الذي أخرجه ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ:(رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي لَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَنَظَرْتُ فَوْقَ فَإِذَا رَعْدٌ وَبَرْقٌ وَصَوَاعِقُ، وَأَتَيْتُ عَلَى قَوْمٍ بُطُونُهُمْ كَالْبُيُوتِ فِيهَا الْحَيَّاتُ تُرَى مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا، فَلَمَّا نَزَلْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا نَظَرْتُ أَسْفَلَ مِنِّي فَإِذَا أَنَا بِرَهَجٍ وَدُخَانٍ وَأَصْوَاتٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذِهِ الشَّيَاطِينُ يُحَرِّفُونَ عَلَى أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ أَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَرَأَوُا الْعَجَائِبَ)،.

وسبب ضعفه أنّ في سنده عليّ بن زيد بن جدعان، قال النسائي: ضعيف، (النسائي، 1985م). والحديث أخرجه الإمام أحمد،(ابن حنبل، 2001م)، قال محققه الشيخ شعيب:(إسناده ضعيف؛ لضعف علي بن زيد، وجهالة أبي الصّلت)(ابن حنبل، 2001م). و(الرهَج): الغبار(ابن فارس، 1414ه). والحديث الصحيح المتعلق بأكلة الرّبا يوم القيامة هو الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن سمرة بن جندب ــ رضي الله عنه ــ قال: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ــ ﷺ ــ:(رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رَجُلًا يَسْبَحُ فِي نَهَرٍ وَيُلْقَمُ الْحِجَارَةَ، فَسَأَلْتُ مَا هَذَا، فَقِيلَ لِي: آكِلُ الرِّبَا)، قال الشيخ شعيب: حديث صحيح،(ابن حنبل،2001م).

وقد وجد الباحث أنّ ابن عطيّة ــ رحمه الله ــ على وجه الخصوص من بين المفسرين المتقدمين قد توسّع في فهم الآية، فلم يحصر القيام المذكور في الآية بالقيام يوم القيامة، فقال ــ رحمه الله ــ:(قال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ ومجاهد وابن جبير وقتادة والرّبيع والضّحّاك والسُّدي وابن زيد: معنى قوله " لا يقومون " يعني: من قبورهم في البعث يوم القيامة، قال بعضهم: يُجعل معه شيطان يخنقه، وقالوا كلهم: يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتاً عند جميع أهل المحشر، ويقوي هذا التأويل المجمع عليه أنّ في قراءة عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ: لا يقومون ــ يوم القيامة ــ إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ، وألفاظ الآية تحتمل تشبيه حال القائم على جمع المال، الحريص على عدم إنفاقه، الجشع في تجارته؛ بسبب تجارته بالربا، بقيام المجنون؛ لأن الطمع والرغبة تستفزه حتى تضطرب أعضاؤه، وهذا كما تقول لمسرعٍ في مشيه، مضطربٍ في هيئة حركاته، إمّا من فزع أو غيره: قد جُنَّ هذا) (ابن عطية، 1993م). وما ذكره ابن عطيّة ــ رحمه الله ــ عن قراءة ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ، لا يدل على أنها قراءة قرآنيّة، إنما هي قراءة تفسيريّة لبيان المعنى، والذي جعل الباحث ينفي كونها قراءة قرآنية أنّ كتب القراءات القرآنيّة لم تذكرها.

وقد كان العرب يُشَبِّهون دوابَّهم في نشاطها وسرعتها بالدابّة الممسوسة من الجنّ، فقد شبّه الأعشى ناقته بذلك في قوله:

وَتُصْبِحُ مِنْ غِبِّ السُّرَى ، وَكَأنّما ألمّ بهَا مِنْ طَائِفِ الجِنّ أوْلَقُ

ويقصد الشاعر بهذا البيت أنّ ناقته بعد أن يسري اللَّيْل تصبح نشيطة؛ لشدَّة قوتها بحَيْثُ لا يقل نشاطها. وَ(الْغِبُّ) بِكَسْرِ الْغَيْنِ بِمَعْنَى عقب، و(غِبّ السّرى) أي: عاقبة السّير بالليل. و(طائف الْجِنّ) مَا يُحِيط بالإنسان من الصرع والاضْطِرَاب، قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ{ (الأعراف: ٢٠١).(ابن عاشور، 1997م)، وكلمة(أولق) التي جاءت في بيت الشعر معناها: إسراع وخفة، (ابن فارس، 1414ه)، وقد رد الآلوسيّ ما ذهب إليه ابن عطيّة من كون القيام يمكن أن يشمل الدنيا، وعدّه مصادمة لما عليه سلف الأمة(الآلوسيّ، 1985م).

وعند رجوع الباحث إلى تفسير المنار وجده قد نقل عبارة ابن عطية ــ رحمه الله ــ مجتزأة، يقول صاحب المنار ــ رحمه الله ــ:(قال ابن عطية في تفسيره: المراد تشبيه المرابي في الدنيا بالمتخبط المصروع، كما يقال لمن يصرع بحركات مختلفة: قد جُنّ. أقول: وهذا هو المتبادر)(رضا، 2005م). والحقيقة أنّ ابن عطية لم يقل هذا، إنما قال:(وأما ألفاظ الآية فكانت تحتمل تشبيه حال القائم...الخ)، وقد ذكره الباحث سابقاً(ابن عطية، 1422هـ)، فابن عطية ــ رحمه الله ــ يرى أنّ الآية تحتمل أنْ يكون المراد بالقيام في الدنيا، ولكنه لم يجزم به.

وبيّن الإمام الرازي ــ رحمه الله ــ أنه لا منافاة بين أنْ يكون المراد بالقيام في الآية القيام من الأجداث أو القيام يوم القيامة، فقال:(أمّا قوله تعالى:}لا يقومون{فأكثر المفسرين قالوا: المراد منه القيام يوم القيامة، وقال بعضهم: المراد منه القيام من القبر، واعلم أنه لا منافاة بين الوجهين، فوجب حمل اللفظ عليهما) (الرازي، 1420هـ)، ويرى الباحث أنّ كلام الإمام الرازي ــ رحمه الله ــ صحيح؛ إذ لا منافاة بين الوجهين؛ لأنّ القيام من الأجداث يحصل يوم القيامة، ونقل الإمام القرطبي ــ رحمه الله ــ في تفسيره عن بعض العلماء زيادة في توضيح معالم تلك الصّورة البيانيّة، التي رسَمَتْها الآيةُ الكريمةُ لأولئك المرابين، وهم يقومون من أجداثهم، فقال:(ويُقال: إنهم يُبعثون يوم القيامة قد انتفخت بطونهم كالحُبَالى،

وكلما قاموا سقطوا، والناس يمشون عليهم، وقال بعض العلماء: إنما ذلك شِعارٌ لهم يُعرَفون به يوم القيامة، ثمّ العذاب من وراء ذلك) (القرطبي، 1996م)، ولم يَذْكر الإمام القرطبيّ دليلاً على ذلك وقد حرص الباحث على ذِكر كلمة(أجداثهم) دون كلمة(قبورهم)، فـ(الأجداث) جمْع(جدَث)، وذكر ابن فارس أنه القبر(ابن فارس، 1414هـ)، و(الجدَث) صَوْتُ الحافِرِ والخُفِّ والمَضْغ للَّحْم(الصاحب ابن عبّاد، بلا ت ط) ، وقد فرّق الدكتور فاضل السامرائي بين(القبر) وبين(الجدَث) بالنظر إلى استعمال كلٍّ منهما في السياق القرآني، فرأى أنّ لفظ(الجدَث) مذكور في القرآن الكريم في سياق الحركة والإسراع، وأمّا لفظ(القبر) فمذكور في سياق الهمود والجمود(السامرائي،)، ويرى الباحث صواب ما ذهب إليه الدكتور فاضل، ومما يؤكد ذلك النظر في الآيات التي ورد فيها كلٌّ من ذلكما اللفظين، فقد وردت كلمة(الأجداث) في القرآن الكريم ثلاث مرات، الأولى: قوله تعالى:}وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ{ (يس/43)، فكلمة }يَنْسِلُونَ{ تدل على الحركة والإسراع، والثانية: قوله تعالى: }خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ{ (القمر/7)، وكلمات}يخرجون {و}جراد منتشر { تدلّ على الحركة والسرعة، والثالثة: قوله تعالى: }يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ { (المعارج/43)، وكلمات }يخرجون{ و}سراعًا{ و}يوفضون{ تدلّ على الحركة والسرعة، أمّا مشتقات كلمة(القبر) فقد وردت في ثمان آيات، كلها في سياق السّكون والجمود والهمود، منها قوله تعالى: }وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ{ (فاطر/22)، فقد ذكر الله تعالى في الآية الأموات، وذكر فيها القبور، ومِن أكثر ما يميّز الأمواتَ الهمودُ وعدمُ الحركة، ومنها قوله تعالى: }ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ{(عبس/21)، وهي في سياق مشابه كذلك، وكذلك باقي الآيات التي ذكرت كلمة(القبر) بأيّ مشتقٍ من مشتقاتها ، بخلاف الآيات التي ذكرت كلمة(الأجداث)، فالقبر(اسم يدلُّ على حدوث الإقبار للميِّت بعد موته، فهو قَبْرٌ بدخول صاحبه فيه، وجَدَثٌ بخروجه منه عند البعث)(الدوري، 2006م)، وقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي أنّ (الجدث) هو القبر من حيث المعنى، وأنّ استعمال القرآن الكريم لكلمة}الأجداث{ عند خروج الموتى، له علاقة بأصل دلالة الكلمة عند العرب، فالكلمة في أصل معناها ــ وقد ذكره الباحث آنفًا ــ تدل على صوت الحافر والخُفّ ومضغ اللحم، فاستعمل القرآن الكريم الكلمة التي لها علاقة بالصوت والحركة وهي}الأجداث{ دون الكلمة التي لا تدلّ على ذلك وهي}القبور{، هذا من جانب ومن جانب آخر كأنّ الأرض قد أكلت أجساد الموتى ومضغتها، وبما أنّ القرآن الكريم دقيق في ألفاظه، قد وضع كلّ لفظة منها في الموضع الذي لا يناسبه غيرها، وأنه لا ترادف بينها، لذا كان لزامًا على الباحث أن يتحرّى الدقة ما استطاع. كان ذلك فيما يتعلق بقصد الباحث بذكْر كلمة(أجداث) دون كلمة(قبور).

أعود إلى الآية الكريمة موضع البحث، فقد شبّهت الآية الكريمة حال المرابين عند قيامهم سواء كان في الدنيا أم في الآخرة بحال الذي مسّه الشيطان فأصبح مضطرباً في حركاته وتصرفاته وانفعالاته، ويكمن وجه الشبه في جوانب متعدّدة منها الخوف وعدم الاتزان وعدم التعقّل والتصرفات الطائشة غير المنضبطة، يقول الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ــ رحمه الله ــ:(آكل الربا يستبيح جهد الناس وعرقهم، فيحرمهم لذة الاستقرار النفسيّ، وربما ينتج عن ذلك كثير

من الآلام والأمراض النفسية أو الجسدية، فما هو التشبيه الذي اختير له في كتاب الله؟، اقرأ قوله سبحانه:) الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)، هذا الذي يتخبطه الشيطان من المس بعيد عن كل استقرار نفسيّ، وراحة في الجسم، وسلامة في العقل، وهل الجزاء إلا من جنس العمل؟)(عباس، 1987م، ص90).

إنّ التشبيه الوارد في الآية الكريمة يدخل ضمن تشبيه المحسوس بالمحسوس، ويدخل كذلك ضمن تشبيه المعقول بالمحسوس، فهو يدخل في الأول إذا اعتبرنا كون القيام يوم القيامة، ويدخل في الثاني إذا اعتبرناه في الدنيا.

إنَّ الصُّورة البيانيّة التي عرضتها الآية الكريمة فيها إبراز لمعنًى نفسيٍّ في صورةٍ حسيّةٍ مشاهدةٍ، فالمرابي منقبض الصدر، ممسك اليد، مرتعش القلب، يخشى الفقر، رغم ما يملك من مال، إلاّ أنه يخاف من نفاده؛ لأنه لا يثق بالمصدر الحقيقيّ للعطاء، وهو الله ــ سبحانه وتعالى ــ ، قال تعالى: }قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا{ (الإسراء/100)، لقد صوّرت الآية الكريمة السابقة المرابي حين يقوم من جدَثه يوم القيامة، صوّرته أنّه يقوم مرتعشًا وَجِلاً، يتخبّط في قيامه، لا يكاد يثبت على قدميه، ولا يستقرّ له حال، والتخبّط مأخوذ من الخَبْط، وأصله مأخوذ من خبْط البعير للأرض، قال ابن دريد: (خَبَطَ الْبَعِير الأَرْض بيدَيْهِ إذا ضربهَا. وكل شَيْء ضَربته بيَدِك فقد خبطته وتخبطته)، (ابن دريد،1987م) ومعناه: الضّرْب على غير استواء، كخَبْطِ البعير الأرضَ بيده، وخبطِ الرّجُل الشجر بعصاه (الأصفهاني)، والفعل المضارع(يتخبّطه) له دلالاته وإيحاءاته، فالفعل في الأصل ــ عند علماء اللغة العربية ــ يدل على الحدوث والتجدّد (السامرائي، 2012م)، والمعنى أنَّ الشيطان يتخبّط المرابي في صورة متكرّرة، وحرف(التاء) في كلمة(يتخبطه) له معنى، فالله ــ سبحانه ــ قال:(يتخبطه) ولم يقل: يخبطه، والمعنى الذي يظهر للباحث هو قوّة ذلك الخبط وشدّته، والباعث على هذا الفهم أنّ كل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى ــ كما هو معروف عند علماء اللغة ــ(الهروي، 1420هـ)، يقول الدكتور محمد محمد أبو موسى:(المراد بهذا التصوير هو تصوير المرابي حين يقوم يوم القيامة، فإنه يتخبط في قيامه؛ لأنّ الرّبا يربو في بطونهم حتى يتلفها، وفي هذا إهانة لهم وتشهير بهم، وهذا التشبيه هنا يصف مشهدًا بمشهد،) (أبو موسى، 2006م)، أي يصف مشهد المرابي حين يقوم من جَدَثه بمشهد الممسوس من الجنّ حين يقوم من مكانه.

يتبين للباحث بعد تقرير كون القيام المذكور في الآية أنه قيام مطلق يشمل قيامهم في الدنيا وقيامهم في الآخرة أنّ تشبيه قيامهم بقيام الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ يكون من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، إذا نظرنا إلى قيامهم في الدنيا، وإذا نظرنا إلى قيامهم في الآخرة فيكون من قبيل تشبيه محسوس بمحسوس.

ومما يجب ملاحظته عند النظر في الصّورة البيانيّة لقيام المرابين من أجداثهم، الاستثناء في قوله تعالى:} لا يقومون إلاّ كما يقوم{الآية، فقد حصرت صوَر قيام المرابين من أجداثهم في صورة قيام المختلّ عقليّاً، المضروبِ من الشيطان على رأسه، وعلى سائر بدنه، فالشيطان يتخبّطه كلّه من رأسه حتى قدميه، في صورة متكرِّرة لا تتوقف.

يقول الشهيد سيّد قطب ــ رحمه الله ــ:(إنها الحملة المفزعة، والتصوير المرعب}لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ{، وما كان أيُّ تهديد معنوي ليبلغ إلى الحس ما تبلغه هذه الصورة المجسّمة الحية المتحركة.. صورة الممسوس المصروع.. وهي صورة معروفة معهودة للناس. فالنص يستحضرها لتؤدي دورها الإيحائي في إفزاع

الحسّ، لاستجاشة مشاعر المرابين، وهزّها هزّة عنيفة تخرجهم من مألوف عادتهم في نظامهم الاقتصادي، ومن حرصهم على ما يحققه لهم من الفائدة.. وهي وسيلة في التأثير التربوي ناجعة في مواضعها. بينما هي في الوقت ذاته تعبر عن حقيقة واقعة.. ولقد مضت معظم التفاسير على أنَّ المقصود بالقيام في هذه الصورة المفزعة. هو القيام يوم البعث. ولكن هذه الصورة– فيما نرى– واقعة بذاتها في حياة البشرية في هذه الأرض أيضاً. ثم إنها تتفق مع ما سيأتي بعدها من الإنذار بحرب من الله ورسوله. ونحن نرى أنَّ هذه الحرب واقعة وقائمة الآنَ ومسلطة على البشرية الضالة التي تتخبط كالممسوس في عقابيل النظام الربوي... إنهم لا يقومون في الحياة ولا يتحركون إلا حركة الممسوس المضطرب القلق المتخبط، الذي لا ينال استقراراً ولا طمأنينة ولا راحة.. إنَّ العالم الذي نعيش فيه اليوم– في أنحاء الأرض– هو عالم القلق والاضطراب والخوف والأمراض العصبية والنفسية، باعتراف عقلاء أهله ومفكريه وعلمائه ودارسيه، وبمشاهدات المراقبين والزائرين العابرين لأقطار الحضارة الغربية.. وذلك على الرغم من كل ما بلغته الحضارة المادية، والإنتاج الصناعي في مجموعه من الضخامة في هذه الأقطار. وعلى الرغم من كل مظاهر الرخاء المادي التي تأخذ بالأبصار) (قطب، 1992م).

وذهب الشيخ الشعراوي إلى نحْو ما ذهب إليه سيد قطب ــ رحمهما الله ــ، ومما جاء في تفسير الشيخ الشعراوي أنه قال:(فساعة ترى واحداً مصروعاً فاعرف أنه من أصحاب الربا، هذا في الآخرة، وفي الدنيا تجد أيضاً أنّ له حركة غير منطقية، هستيرية، كيف؟ انظر إلى العالم الآن، لقد خلق الله العالم على هيئة من التكامل. فهذا إنسان يتمتع بإمكانات ومواهب، وذاك يتمتع بمواهب وإمكانات أخرى، حتى يحتاج صاحب هذه الإمكانات إلى صاحب تلك الإمكانات فيكتمل الكون، ولو أنّ كلّ إنسان كان وحدة متكررة لاستغنى الكل عن الكل. ولو أنّ الأفراد متساوون في المواهب لمَا احتاج الناس لبعضهم البعض. لكنّ المواهب تختلف؛ لأنك إنْ أجدت فنًّا من فنون الحياة فقد أجاد سواك فنونا أخرى، أنت محتاج إليها، فإن احتاجوا إليك فيما أجَدْت، فقد احتجت إليهم فيما أجادوا، وهكذا يتكامل العالم... كان المنطق يقتضي أنْ يعيش العالم مستريحاً هادئاً؛ لأنه في كل يوم يبتكر أشياءَ، تعطي له أكبر الثمرة بأقل مجهود في أقل زمن، فماذا نريد بعد هذا؟ ولكنْ هل العالم الذي نعيش فيه منطقي مع هذا الواقع؟ لا، بل نحن نجد أغنى بلاد العالم وأحسنها وفرة اقتصادية هي التي يعاني الناس فيها القلق، وهي التي تمتلئ بالاضطراب، وهي التي ينتشر فيها الشذوذ، وهي التي تشكو من ارتفاع نسبة الجنون بين سكانها. إذن فالعالم ليس منطقياً. وهذا التخبط يؤكد ما يقوله الحق: {إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشيطان مِنَ المسّ}، إنها حركة هستيرية في الكون تدل على أنه كون غير مستريح... أمَا كان على هذا الكون بعقلائه أن يبحثوا عن السبب في هذا، وأن يعرفوا لماذا نشقى كل هذا الشقاء؟!)(الشعراوي، 1997م)، ثم ذكر الشيخ ــ رحمه الله ــ السبب، من خلال اعتراف علماء الاقتصاد الغربيين أنفسهم، مثل (شاخت) الألماني، و(كينز) الإنجليزي، بأنّ السبب هو الرّبا.

ومما يزيد في توضيح نظرة الغربيّين للرّبا، ما أعلنه بعض قادتهم حول سوء الرّبا، فقد قال(كينز) _ والذي كان ممثلاً للشعب الإنجليزي، وهو يلقي خطبته في دار الشيوخ: (لا أستطيع أن أنسى أبد الدهر ذلك الحزن الشديد، والألم المرير، الذي قد لحق بي من معاملة أميركا إيانا في هذه الاتفاقية، فإنها أبت أن تقرضنا شيئاً إلا بالرّبا)، وكذلك ما قاله د. دالتون وزير المالية الإنجليزي، وهو قريب من سابقه(المودودي، 1990م).

والذي يميل إليه الباحث ما ذهب إليه ابن عطية ــ رحمه الله ــ من القدامى، ومحمد رشيد رضا وسيد قطب وابن عاشور والشعراوي ــ رحمهم الله ــ من المعاصرين، وهو أنّ قيام المرابين المذكور في الآية يشمل قيامهم في الدنيا وقيامهم في الآخرة؛ والسبب في ذلك أنّ لفظ الآية عامّ ليس فيه ما يدل على التخصيص بيوم القيامة، ولم يرد دليل من السنة يخصص ذلك بيوم القيامة.

هذا ومما يناسب إضافته حول الصورة البيانيّة لآكل الربا أنّ الآية الكريمة قد عبّرت عن أخذ الربا بلفظ الأكل، فلم يقل الله تعالى: إنّ الذين يأخذون الربا، إنّما قال سبحانه:(إنّ الذين يأكلون الربا) والتعبير عن الأخذ بلفظ الأكل له أثره في عرض صورة متحركة للمرابين وفيه تبشيع لصورتهم أمام السامعين، وقد جاءت هذه البشاعة من السياق الذي وردت فيه كلمة(الأكل)، وهو أكل مال الناس بالباطل، والاعتداء على جهودهم وحقوقهم، والأكل في الأصل يُقصد منه الانتفاع بالمأكول، إلا أنّ هذا الأكل لا يؤدي إلى نفع أبداً بل يجعل الآكل ــ وهو المرابي ــ متخبّطاً في حياته، ومواقفه وتصوراته، وسائر معاملاته، فهو أشبه ما يكون بالشخص الممسوس من الجن، لا يهدأ له بال، ولا يقرّ له قرار، وهذا التشبيه يلقي بظلاله على السامع أو القارئ في رسم تلك الصورة المنفّرة للمرابين.

إنّ الغرض من تشبيه المرابين بالممسوسين هو ذمّهم، ولا شك أنّ الكلام عندما يُعبَّر عنه بطريقة التشبيه يكون أبلغ في نفوس السامعين، سواء كان التشبيه لغرض المدح أو الذم، أو غير ذلك، يقول العلاّمة عبد القاهر الجرجاني عن أثر التشبيه لغرض الذم:(وإن كان ذمّاً كان مسُّه أوجع، وميسِمُه ألذع، ووقعه أشد، وحدّه أحدّ)(الجرجاني، 1998م).

ولا شك أنّ هذا الأثر إنما يحصل في نفس من أقبل على كلام الله تعالى بقصد البحث عن الحق، والعمل بمضمون الآيات في الفعل والترك، قال تعالى:(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)(ق/37).

المطلب الرابع: التقابل في الصُّوَر البيانيّة:

مما يلحظه الباحث في الصورة البيانيّة لقيام المرابين، أنها جاءت في مقابلة الصّورة البيانيّة التي عرضتها الآية السابقة للمنفقين في سبيل الله، قال تعالى:(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)(البقرة/ 274)، إنّ أول ما يلاحظه المتدبّر لهاتين الآيتين أنّهما بدأتا بنفس الكلمة، وهي(الَّذِينَ) ، ففي الأولى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ)، وفي الثانية:(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا)(البقرة/275)، فالكلمة الأولى تحدّثت عن جماعة، وأخبرت عن صفاتهم وأحوالهم، وكلمة(الَّذِينَ) الثانية جاءت في مقابلها، تتحدّث عن جماعة أخرى مغايرة، لهم صفاتهم وأحوالهم المختلفة، والملحوظة الثانية هي التقابل في الفعل المضارع، فالفِعْل(يَأْكُلُونَ) جاء في مقابلة الفعل(يُنْفِقُونَ)، وكلاهما في صيغة واحدة، وهي صيغة المضارعة، والملحوظة الثالثة التضادّ في المعنى بين الفعلين السابقين، فالمرابون يأخذون المال الزائد عن رؤوس أموالهم، والمنفقون يُعطون من أموالهم، وقد ترتّب على فعْل هؤلاء وهؤلاء جزاءٌ من جنس أعمالهم، فالذين قدّموا أموالهم طاعة لله فازوا برضى الله، فلا محلّ للخوف والحُزن في حياتهم، أمّا المرابون فقد خالفوا أحكام الله وتعدَّوا حدوده، فاستحقوا الخوف والحزن، وهو خوفهم من نقص المال، وحزنهم عند حصول النقص، هذا في الدنيا، وفي الآخرة هم أكثر خوفاً، وأشدّ حزناً، والمنفقون يقدّمون أموالهم لمن يحتاجون إليها، وهم بما عند الله واثقون، والمرابون يستردّون أموالهم، وأموالاً ليست من حقهم، وهم من نقْص المال خائفون.

الخاتمة وأهمّ النتائج:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، فقد أعانني الله تعالى على الكتابة في هذا الموضوع، وقد خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، منها:

1ــ إنّ الصّورة البيانية التي عرضها قوله تعالى:(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)(البقرة/ 275) صورة فريدة في تمثيلها لحال المرابي لم تتكرّر في القرآن الكريم، لأيّ شخص آخر، فالمرابي كالمجنون الذي يصرعه الشيطان على الدوام.

2ــ إنّ الصّورة البيانيّة السابقة صورة منفّرة من الرّبا والمرابين، وما ذاك إلاّ لبشاعة جريمة الرّبا؛ لشدّة الأضرار التي يوقعها الرّبا في حياة الناس، الاقتصاديّة والاجتماعية والنفسيّة وغيرها.

3ــ إنّ القيام الوارد في الآية قيام عامّ يشمل حال المرابي في الدنيا وحاله في الآخرة، وليس هناك دليل صحيح أو قرينة من القرائن تدل على تخصيص القيام بيوم القيامة كما ذكر كثير من المفسرين.

4ــ إنّ كلمة (يَتَخَبَّطُهُ) ــ والتي سبق معناها أنه ضرْب في غير استواء ــ توحي بظلالها في تمكّن الشيطان من السيطرة على المرابي من كل أنحاء بدنه، من رأسه حتى قدميه، وهو خبْط متواصل لا يكاد يتوقف، بدلالة صيغة المضارع. وتخبّطهم في قيامهم في الدنيا لا يعني عدم اتزانهم في حركة أبدانهم إنما يتعلق بجوانب معنوية أفصّلها في النتيجة الآتية.

5ــ إنّ التخبّط في قيام المرابين يبدو جلياً في جميع شؤون حياتهم الخاصّة والعامّة، وفي القرارات التي يقرّرونها في جميع مجالات حياتهم، ولا شك أنه ينعكس سلباً على جميع من يقبل بتلك الجريمة ــ أعني جريمة الربا ــ، ولا يحرك ساكناً في إنكارها، قال تعالى:(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(الأنفال/25)، وصورة هذا التخبّط في حياة المرابين تشبه صورة التخبّط في حركة المجانين من مسّ الشياطين.

6ــ جاء التناسق القرآنيّ الفريد في تقابل الصّورتين البيانيّتين، صورة المرابين في مقابلة صورة المنفقين، فبعد أنْ عرض القرآن الكريم صورة المنفقين، وبيّن منزلتهم عند الله، وما أعدّه لهم من الثواب والجزاء، عرَض بعد ذلك صورة المرابين، وما أعدّه لهم من العقاب، وهو مما يؤكّد روعة الإعجاز البيانيّ في طريقة عرْض المواقف وتصوير النماذج البشريّة، في مواقفها مِن أحكام الله تعالى.

Abstract

The graphic image of the resurrection of moneylenders in the Noble Qur'an Objective study

By Jamal Abdel Raheem Saleh Abu Romman

Objectives: This research aims to clarify the graphic image that God Almighty presented to the usurers when they rise, indicating what is meant by this resurrection, and it also aims to explain the distinction with which the usurers' body was distinguished when they rose from their ancestors on the Day of Resurrection, and how it differed from the rest of the people of the gathering, indicating the reasons for which God singled out - Almighty - the moneylenders in this way.

Methods: In this research, the researcher followed the methodology of the objective study, rather than the analytical one, concentrating the effort on what is related to the title of the research, and did not aim to explain all aspects of the mentioned verses analytically; So as not to go out search for its topic.

Results: One of the results of the research is that the action mentioned in the Almighty's saying: **(Those who consume interest cannot stand [on the Day of Resurrection] except as one stands who is being beaten by Satan into insanity)** (Surat Al-Baqarah/275) General standing, for there is no evidence that it is obligatory to single out it on the Day of Resurrection, as it is general and includes standing in this world and the hereafter, which means the combination of two types of tremors on the usurious, a psychological tremor in this world, and a physical tremor in the Hereafter.

Conclusions: The researcher recommends a graphic study of the verses of the Noble Qur'an, and extrapolating its rhetorical methods to warn people against falling into what angers God Almighty, from the repulsive metaphors presented by the verses of the Noble Qur'an to those who turn away from the provisions of God Almighty, transgressing His limits.

Keywords: graph, loan sharks, confusion, touch.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن جُزيّ، أ، (دون تاريخ)، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الفكر.

ابن حجر، أ، (1414هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر.

ابن دريد، م، (1987م)، جمهرة اللغة، ط1، دار العلم للملايين.

ابن عاشور، م، (1984م)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المعروف بتفسير(التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر.

ابن عطيّة، م، (1413هـ)، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان.

ابن فارس، أ، (1414ه)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر.

ابن منظور، م، (1414هـ)، لسان العرب، دار صادر.

أبو داود، س، (دون تاريخ)، سنن أبي داود، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية.

أبو زهرة، م،(1986م)، بحوث في الرّبا، دار الفكر العربيّ.
أبو موسى، م، (2006م)، التصوير البياني، ط6، مكتبة وهبة.
الأصفهاني، ح، (دون تاريخ)، المفردات.
الأعشى، م، (دون تاريخ)، ديوان الأعشى.
بدر، ع، (1983م) ، من توجيهات القرآن الكريم: (الذين يأكلون الرّبا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ..).التوعية الإسلامية، مسترجع من http://search.mandumah.com
البقاعي، أ،(2006م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط3، دار الكتب العلمية.
الجرجاني، ع، (1403هـ)، التعريفات، ط1، دار الكتب العلمية.
الجرجاني، ع، (1998م)، أسرار البلاغة، بتعليق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
الجزيري، ع، (2013م)، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الفجر للتراث.
حنبل، أ، (2001م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ت شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة.
الخالدي، ص،(1997م)، تفسير الطبري، تقريب وتهذيب، ط1، دار القلم.
الدوري، م، (2006م)، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ط1، دار الكتب العلمية.
الرازي، م، (1420هـ)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط3، دار إحياء التراث العربي.
رضا، م، (2005م)، تفسير المنار، ط2، دار الكتب العلمية.
الزبيدي، م، (1420هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ط1، دار الهداية.
الزمخشري، م، (1403هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط7، دار الكتاب العربي.
زيدان، ر، (دون تاريخ)، الربا وبدائله في الإسلام.
السامرّائي، ف، (2012م)، التعبير القرآني، ط8، دار عمار.
السامرائي، ف، (27 Jan، 2014)، لمسات بيانية، برنامج تلفزيونيٌّ على قناة الشارقة الفضائية، تحت عنوان: ما الفرق بين القبور والأجداث ؟https://www.youtube.com/watch?v=6au4WQHAN0Y
السامرائي، ف،(2011م)، معاني النحو، ط5، دار الفكر.
الشحود، ع،(2007م)، بلا دار نشر.
الطبريّ، م، (1420هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة.
عَبّاد، إ، (دون تاريخ)، المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد بن العباس.
عباس، ف، (1987م)، البلاغة فنونها وأفنانها، ط1، دار الفرقان.
عزّام،ع ، (1997م)، فقه المعاملات، مكتبة الرّسالة الدولية.
القرطبي، م، (1416هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط2، دار الحديث.
القزويني، م، (1988م)، الإيضاح في علوم البلاغة، ط1، دار إحياء العلوم.
قطب، س ، (141هـ)، في ظلال القرآن، ط17، دار الشروق.
مجموعة من المؤلفين، (1424هـ)، الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.
مختار، أ، (2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب.
المراغي، أ، (1365هـ)، تفسير المراغي، ط1، مكتبة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.
المودودي، أ، (1990م)، ط2، الرّبا، الدار السعودية.
النسائي،أ، (1985م)، كتاب الضعفاء والمتروكين، تحقيق بوران وكمال، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1985م.
النووي، ي، (دون تاريخ)، المجموع شرح المهذّب، دار الفكر.

النيسابوري، م، (دون تاريخ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ــ ﷺ ــ ، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
الهروي، م، (دون تاريخ)، إسفار الفصيح، ت أحمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

References:

A group of authors, (1424 AH), *facilitated jurisprudence in the light of the Qur'an and the Sunnah*, King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an.
Abbad, I, (without date), *Al-Mohit in Language*, Ismail bin Abbad bin Al-Abbas.
Abbas, F, (1987 AD), rhetoric, its art and art, 1st edition, Dar Al-Furqan.
Abu Musa, M, (2006 AD), *graphic photography*, 6th floor, Wahba Library.
Al-Asha, M, (without date), *Diwan Al-Asha*.
Al-Douri, M, (2006 AD), *Minutes of Linguistic Differences in the Qur'anic Statement*, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmia.
Al-Harawi, M., (undated), *Isfar Al-Fasih*, T. Ahmed Qashash, Deanship of Scientific Research at the Islamic University, Madinah.
Al-Isfahani, H. (no date), *Vocabulary*, Dar- ALmaa'rifeh.
Al-Jaziri, A., (2013 AD), *Jurisprudence on the Four Schools*, Dar Al-Fajr for Heritage.
Al-Jurjani, A, (1403 A.H.), *Definitions*, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmia.
Al-Jurjani, P. (1998 AD), *Asrar Al-Balaghah*, commented by Mahmoud Shaker, Al-Madani Press, Cairo.
Al-Maraghi, A, (1365 AH), *Tafsir Al-Maraghi*, 1st Edition, Mustafa Al-Babi Al-Halabi and Sons Library.
Al-Nasai, A, (1985AD), The Book of the Weak and the Forsaken, investigated by Buran and Kamal, the Cultural Books Foundation, Beirut, 1st edition, 1985AD.
Al-Nawawi, Y, (without date), *Al-Majmoo' Sharh Al-Muhadhab*, Dar Al-Fikr.
Al-Nisaburi, M., (undated), *the correct, abbreviated chain of transmission of justice from justice to the Messenger of God - PBUH - t*.
Al-Qazwini, M., (1988 AD), *Clarification in the Sciences of Rhetoric*, 1st Edition, House of Revival of the Sciences.
Al-Qurtubi, M., (1416 A.H.), *Al-Jami' Al-Ahkam Al-Qur'an*, 2nd Edition, Dar Al-Hadith.
Al-Razi, M., (1420 AH), *The Great Interpretation or Keys to the Unseen*, 3rd Edition, House of Revival of Arab Heritage.
Al-Samarrai, F, (2012 AD), *Quranic expression*, 8th edition, Dar Ammar.
Al-Samarrai, F, (Jan 27, 2014), *Graphic Touches*, a TV program on Sharjah Satellite Channel, under the title: What is the difference between graves and graves? https://www.youtube.com/watch?v=6au4WQHAN0Y
Al-Tabari, M., (1420 A.H.), *Jami' Al-Bayan fi Ta'wil Al-Quran*, verified by Ahmed Muhammad Shaker, 1st Edition, Al-Resala Foundation.
Al-Zamakhshari, M., (1403 AH), *Al-Kashf about the facts of revelation and the eyes of gossip in the faces of interpretation*, 7th edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi.
Al-Zubaidi, AD, (1420 AH), *The crown of the bride from the jewels of the dictionary*, 1st edition, Dar Al-Hedaya.
Azzam, A., (1997 AD), *Jurisprudence of Transactions*, International Resala Library.
Ibn Ashour, M., (1984 AD), *Editing the Right Meaning and Enlightening the New Mind from the Exegesis of the Glorious Book*, known as Tafsir (Liberation and Enlightenment), Tunisian Publishing House.
Ibn Attia, m, (1413 AH), *The brief editor in the interpretation of the Aziz Book*, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Lebanon.
Ibn Faris, A, (without date), *Adictionary of language standards*, Dar Al-Fikr.
Ibn Juzi, A, (without date), *Al-Tashel for the sciences of downloading*, Dar Al-Fikr.
Ibn Manzoor, M., (1414 A.H.), *Lisan Al Arab*, Dar Sader.
Mukhtar, A. (2008 AD), *Dictionary of Contemporary Arabic Language*, World of Books.
Qutb, Q, (141 AH), *In the shadows of the Qur'an*, 17th edition, Dar Al-Shorouk.